جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

مذاهب العلماء في التفسير العلمي

د/ سلطان زايد ملاطف

أستاذ مساعد- كلية التربية-جامعة عمران

AUTHORIZED BY AL-NASSER UNIVERSITY'S RESEARCH OFFICE
جميع حقوق النشر محفوظة لمكتب البحوث والنشر بجامعة الناصر

مذاهب العلماء في التفسير العلمي

د/ سلطان زايد ملاطف

أستاذ مساعد- كلية التربية-جامعة عمران

الملخص

لقد تناول المفسرون تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم منذ أن بدأت حركة التفسير وتنوعت مناهج المفسرين في تفسيرها سواء فسروها بالمأثور أو بالرأي بناء على معارف عصرهم أو التزاماً بدلائل النص، فإذا اعتمد المفسر في تفسيرها على المعارف الإنسانية كان هذا نوعاً من الاجتهاد وهو التفسير العلمي بغض النظر عن صواب هذا التفسير أو خطأه، ولكن هذا النوع من التفسير اشتهر في العصر الحديث كونه عصر العلم وانطلق المفسرون للاستفادة من مكتشفات العلم في تفسير القرآن الكريم وهنا نجد العلماء بين مجيز ومانع ولكل وجهة نظر وحجة يحتج بها، وفي هذا البحث أراد الباحث أن يتناول مذاهب العلماء في التفسير العلمي وحكم التفسير العلمي عندهم وحجج وأدلة كل فريق ومناقشة هذه الأدلة ليصل الباحث بعد ذلك إلى ترجيح القول في هذه المسألة؛ ولأن تعريف التفسير العلمي له دور في الحكم عليه فقد بدأ الباحث به في هذا البحث.

وقد توصل الباحث من خلال العرض العلمي لمباحث هذه المسألة ومطالبها إلى جواز التفسير العلمي بضوابط كغيره من أنواع التفسير بل إنه يحتوي على فوائد عظيمة سواء في تفسير النص، أو في توجيه الأمة للبحث العلمي بهدي من القرآن الكريم أو في الدعوة إلى الله كذلك، كما أن في هذا اللون من التفسير إظهار لإعجاز القرآن في عصر العلم والكشوف الحديثة وتجديد لمعجزة النبي الخاتم ﷺ، كما أن فيه حجة بالغة على أنه من عند الله الذي يعلم السر وأخفى، وفيه تصديق وتحقيق لوعد الله القائل : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)( ).

6

مقدمة:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ)().

والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)() ، القائل : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ)() .

وبعد ...

فإنه من المعلوم أن الله ﷻ أنزل القرآن الكريم كتاب هداية وتشريع للناس، يهديهم إلى سواء السبيل، فيرسخ علاقة الإنسان بخالقه، ويرسي عقيدة الإيمان بوجوده، ويشرع لهم ما تستقيم به أمورهم، وتتحقق به مصالحهم، ويدرأ به الفساد عنهم، وتنتظم معه شؤونهم الخاصة والعامة في حياتهم على أكمل وجه.

كما تضمن القرآن الكريم أنواعاً مختلفة من العلوم، وأوجها متعددة من الإعجاز، يدل إلى أنه منزل من عند الله، نزل بعلمه وتضمن علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، وسواء أدرك الناس هذا العلم وقت نزوله، أو تكشف لهم على أزمنة متفرقة عبر العصور، فهو كتاب هداية كما أنه كتاب علم بما تضمن، لأنه أنزل بعلم الله، الذي يعلم السر في السموات والأرض المحيط بكل شيء علماً، ويكفي أن القرآن الكريم قد ضم من الآيات القرآنية الكونية ما يزيد عن سبعمائة وخمسين آية على ما أحصاها بعضهم، ومن خلال هذا يتبين لنا اهتمام القرآن بالعلم والعقل معا، وقصورنا في هذا الجانب مقارنة بالجهود والاهتمام بكتب الفقه، التي وصلت إلى مئات الكتب، في حين أن عدد آياته الصريحة في الفقه والأحكام لا تزيد على مائة وخمسين آية().

ومن أهم السبل التي سلكها لمعرفة علومه، وتأويل أنباءه، وتصديق أخباره، وكشف أسراره، والوقوف على ألوان إعجازه، دعوته العريضة للنظر في ملكوت السموات والأرض، واستكشاف أسرار الخلق، وتحسس آثار القدرة الإلهية، وإدراك بصماتها في كل حركة وكل سكنة في هذا الكون الفسيح، فمن أجل ذلك كله تعددت الآيات القرآنية الكونية، التي تدعوا للتفكر وتحث على التدبر وتحض على التأمل، فيما خلق الله في هذا الكون من أصغر شيء فيه إلى أكبر شيء فيه،

ثم ما في هذه المنهجية العلمية من اهتمام القرآن بالعقل، وإعلاءه من شأنه، حتى يتحرر من ربقة التقاليد البالية، والموروثات الخالية التي لا تمت للحق والعقل بصلة، فلهذا جعل القرآن الكريم التفكر عبادة، والعلم تسبيح، وهو واجب على كل مسلم وكل مستطيع في مجاله،

ولهذا كان لزاما على المسلمين، أن يسعوا في إظهار تحقيق وعد الله للناس عن تأويل أنباء كتابه في الآفاق وفي الأنفس، وكشف أسرارها في ملكوت الله، وتصديق تلك الأنباء وتأويلها بالعلم المتكشف للناس في كل عصر. فإن في هذا حجج ظاهره وبراهين ساطعة وأدلة قاطعة على أن خالق هذا الكون هو الله، وأنه عليم محيط بأسراره، وأن تلك الأنباء والعلوم التي تضمنها القرآن عن أسرار الخلق والملكوت صادقة، وأن هذا القرآن منزل من عند الله الخالق العليم بأسرار ما خلق، أنزله على آخر أنبياءه ورسله رحمة وهداية للعالمين.

ومن المعروف أن القرآن قد حظي بلونين من التفسير، التفسير النقلي أو المأثور وهو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة تبايناً لمراد الله من كتابه، أقوال التابعين على خلاف هل يعد من المأثور أو من التفسير بالرأي. والتفسير العقلي أو ما يسمى بالتفسير بالرأي، فأما التفسير الأول فمع كثرته واهتمام

العلماء به، إلا أنه غير كاف في التأويل، من جهة أن القرآن تضمن أنباء وإشارات، حجب الله معرفة تأويلها على الناس وقت تنزل الوحي، بل أخبر أن معرفة تأويلها والإحاطة بعلمها لن يكون إلا بعد حين، وفي المستقبل، وفي أزمنة متفرقة، فاللفظ معروف لكن حقيقة المعنى وتصورها مجهولة. فتأويلها غير متعلق بالمأثور بل بالزمن وما سيتكشف خلاله من تأويل للنصوص، وبناء عليه فإنه لا بد من التفسير بالعقل والاستفادة من العلم والمعارف الإنسانية للكشف عن تأويل تلك الأنباء التي تضمنتها النصوص،

وأما التفسير الثاني: وهو التفسير بالرأي، فمع ما شابه من شطط وتطرف وتمحل وتأويل فاسد وباطل للنصوص في كثير من الأحيان، على يد أصحاب الفرق الإسلامية، فمنه ما هو مذموم مرفوض، ومنه ما هو جائز مقبول،فلا يمنع من قبوله بعد تمحيصه، والقول بمشروعيته إذا التزم بقواعد التفسير، وخلا من أي مانع صريح أو غالب، من دلالة شرعية أو لغوية أو توفيقية، فقد جعل الله القرآن كتاب الأمة كلها، وفيه هديها ودعاهم إلى تدبره، وبذل الجهد في كشف أسراره واستخراج معانيه في أكثر من آية.

وإذا كانت المعارف الإنسانية المعاصرة للمفسر، تتغير وتتطور ، وتتكشف من خلالها أسرار الخلق والتكوين، ثم تتحول بدورها إلى معارف جديدة تنكشف بواسطتها معارف أخرى وهكذا، فإن المعارف المعاصرة للمفسر تؤثر تأثيرا بالغا في تفسيره للقرآن الكريم، فهي تتحكم بعقله ومن ثم تفسيره، وعلى مستوى تلك المعارف ودرجات قوتها وصحتها يقترب المفسر من حقيقة التأويل لتلك النصوص أو يبتعد، وإذا كانت عجلة العلم والمعرفة قد دارت دورتها التاريخية، ودارت في عصرنا دورة كبيرة وسرَّعّت من سيرها بشكل متسارع وغير مسبوق وبصورة تفوق الخيال. فإنها قد كشفت كثيرا من الأسرار المجهولة في كل مجالات العلوم. فلا ينبغي لنا أن نقف منها موقف المبهور المتبلد، بل يجب أن نستفيد منها في تأويل أنباء القرآن و السير خلالها لكشف أسراره المكنونة.

وإذا كان التفسير بالرأي جائز ومشروع، فإن التفسير العلمي لون من هذا التفسير، بل هو أوثق وأقوى وأدق وأثبت وأرقى من التفسير بالرأي المجرد، لأنه مدعم عند أصحاب هذا المنهج ـ أو كذا يجب أن يكون ـ بالأدلة العلمية المبنية على منهج البحث العلمي السليم، سواء أكانت حقائق يقينية ثابتة، أو نظريات قوية راجحة، فليس هناك ثمة ما يمنع من الاستفادة بالنظريات العلمية في توضيح آية من كتاب الله ما دامت الآية القرآنية تحتملها وتدل عليها ولا تتعارض مع النصوص.

"وقد أثبت التفسير العلمي للآيات الكونية، في أغلب جوانبه إعجازا جديدا، أو وجها جديدا من وجوه الإعجاز، التي يتحدى الله بها البشر في كل زمان ومكان ليثبت صحة القرآن وصدق النبي الأمي المرسل به، ويظهر هذا الدليل الجديد بمجرد النظر إلى تلك التفاسير القديمة، على جلالة قدرها، وعلو شأنها، ولا يعني هذا مطلقا، أننا ننعى على القدماء قصورهم فيه، لأن ذلك هو مبلغهم من العلم"().

ولأن هذا اللون من التفسير بحاجة إلى مزيد دراسة للوقوف على مزاياه وخصائصه وأهميته ومجالاته، ومعرفة أدواته ومراتبه وشروطه وضوابطه، وأراء المجيزين له والمعارضين له، وقد شحت الدراسات التي تفي بهذا الغرض وتبحثه من جهة تأصيلية، فقد قصرت البحث على حكم التفسير العلمي ومذاهب العلماء فيه. وتناولته في مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التفسير العلمي

المبحث الثاني: مذاهب العلماء في التفسير العلمي

المبحث الثالث: حكم التفسير العلمي

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الباحث

المبحث الأول: مفهوم التفسير العلمي

المطلب الأول
تعريف التفسير العلمي

أ. مفهوم العلم:

يقول أحد الباحثين المعاصرين [7] : " لقد صارت كلمة العلم مع تطور الزمن ذات مدلولين، فقديما كان مدلولها العلم القائم على العلوم الدينية وما يتفرع عنها من علوم التوحيد وعلم الفقه وعلم التفسير وعلم اللغة والبلاغة وعلم الحديث إلى غير ذلك من العلوم المتصلة بالدعوة الإسلامية وتاريخها وقرآنها وأحاديثها النبوية، وكان الدارسون لهذه العلوم هم العلماء والفقهاء وأهل العلم وقتئذ، كانوا هم قادة الفكر والرأي والعلم قبل عصرنا هذا، ويقول الإمام الغزالي في هذا الموضوع: إن العلم المقصود هو العلم بالله وصفاته وملائكته ورسله وملكوت السماوات والأرض وعجائب النفوس الإنسانية والحيوانية من حيث أنها مرتبة بقدرة الله لا من حيث ذواتها لأن المقصود الأقصى هو العلم بالله، وأما العمل فمقصود به أساسا مجاهدة الهوى حتى تزول الحوائل التي ربما أعاقت الإنسان عن العلم بالله تعالى.

أما مدلول العلم حديثا فإنه يختلف عن المعنى القديم المشار إليه سابقا، إذ ظهر من وقت قريب جماعة تقول عن عصرنا الحاضر: إنه عصر العلم والعمل ويقصدون بذلك أن العلم بمفهوم عصرنا هو العلم الطبيعي القائم على دراسة ما في الكون من مواد وعناصر وكائنات لها خصائصها الذاتية ونواميسها التي تحكمها من كيمياء وطبيعة وميكانيكا وغير ذلك من علوم الطب والرياضة والفلك وما يتضمنه ذلك من حقائق كونية، وأن العمل في إطار هذا المفهوم للعلم فهو تطبيق العلم عمليا باستعمال الأجهزة والأدوات والوسائل الأخرى الحديثة من مختبرات ومراصد وتجارب واستنباطات منطقية وغير ذلك: وفى ضوء هذين المدلولين للعلم يرى المفسرون العصريون لآيات القرآن أنه من الضروري أن يشتمل تفسيرهم الناحيتين الدينية والعلمية ودون الاكتفاء بناحية واحدة منهما"؛ فإذاً المقصود بالعلم في هذا المقام العلم التجريبي.

ب. وتعريف العلم في الاصطلاح :

هو إدراك الأشياء على حقائقها[8] . أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً [9].

ج. تعريف التفسير العلمي:

عرف التفسير العلمي بعدد من التعريفات منها:

1. هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن، يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان [10].
2. هو الكشف عن دلائل نصوص الوحي من خلال العلوم والمعارف العلمية الراجحة، الموافقة لها والتي لا تتعارض معها.

هذا التعريف يصلح أن يكون تعريفا للتفسير العلمي بشكل عام، لأنه يتناول أنواع التفسير العلمي وهو ما فسر بحقيقة علمية أو قانون علمي ثابت، وهو ما اصطلح عليه بالإعجاز العلمي، وما فسر بنظرية علمية أو دونها، والذي لا يرقى إلى الإعجاز العلمي وإنما يبقى في إطار التفسير العلمي غير المقطوع به؛ فهذا التعريف لا يفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي بهذا المعنى؛ لأنه لم يحدد نوع الاكتشاف العلمي عما إذا كان نظرية علمية أو حقيقة علمية.

3. هو التفسير الذي يحاول أن يرد ما في القرآن من نظرات ولمحات إلى ما يفسرها ويوضحها في ضوء العلم الحديث ومكتشفات الاختراع لإظهار التوافق بين تلك الإشارات وبين العلوم الحديثة كالطب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم، وذلك تطبيقا لدعوة القرآن للنظر في ملكوت السموات والأرض وتأمل النفس الإنسانية التي أودع الله فيها أسرار قدرته ودلائل عظمته، ولنفي المعارضة الموهومة بين القرآن والعلم"([11]). وهذا التعريف كالذي قبله.

4. هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها([12]).

هذا التعريف أضعف مما قبله وهو تعريف المعترضين على التفسير العلمي مثل الدكتور محمد حسين الذهبي ممثل المنكرين للتفسير العلمي، ولا يصح هذا تعريفاً للتفسير العلمي الصحيح المنضبط، لأن هذا إذا صح، تمحل على القرآن الكريم وتحميله مالا يحتمل من المعاني والعلوم والآراء المختلفة التي لا تمت للنص القرآن بصلة، وليس بينها وبينه أي رابط، وإن كان هناك من المفسرين من حاول إقحام القرآن في كل العلوم والمعارف والآراء، حتى لو لم يكن بينها وبين النص أي توافق أو تطابق، أو ترابط أو تقارب، وعما إذا كانت تلك المعارف والعلوم والآراء حقائق ثابتة أو فرضيات متبدلة، وهذا اللون من التفسير غير جائز .

5. هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية ([13]).وهذا التعريف يخرج الإعجاز العلمي الذي تعلق بالحقائق العلمية، مع أنه أعلى درجات التفسير العلمي.

6. هو الكشف عن معاني ودلائل النصوص (قرآنا وسنة) بما يتوافق معها من المعارف والمكتشفات العلمية. وهذا التعريف هو الأدق والأصوب باعتبار أن التفسير العلمي عام، يتناول تفسير النص بالنظرية وما دونها وهي الفرضية، وهو تفسير ظني، كما يتناول تفسيره بالحقيقة والقانون أو القاعدة العلمية الثابتة، وهي التفسير القطعي الذي يثبت إعجازاً للنص، وهو ما يصطلح عليه بعض العلماء والباحثين بـ(الإعجاز العلمي).

المطلب الثاني

درجات الاكتشافات العلمية ومراحلها

ولأن التفسير العلمي هو عبارة عن تفسير النص القرآني في ضوء المعارف والكشوف العلمية، ونعني بالمعارف تلك التي تقبل القياس وتدخل ضمن مناهج البحث العلمي لا تلك المعارف التي لا يمكن إخضاعها لمناهج البحث العلمي كالعلوم الفلسفية التي لا تستند إلى أي برهان علمي قابل للقياس أو التجريب، وهذه المعارف والعلوم العلمية التي أنتجتها الأبحاث العلمية ليست على درجة واحدة من القوة ولا بد من بيانها حتى نعرف بدرجتها ووثوقها من وجهة النظر العلمية في تفسير النص؛ فإن الاكتشاف العلمي يمر عبر مراحل، ويتنقل على درجات مختلفة بين الضعف والقوة والقبول الرفض والصحة والخطأ. فيبدأ بفرضية ثم إذا توافرت لها الأدلة والبراهين التي تدعمها على غيرها تحولت إلى نظرية فإذا ما ثبتت بالدليل القاطع والبرهان الساطع الذي لا يقبل الجدل، أو أصبحت مشاهدة أو من جنس المشاهدة أصبحت حقيقة علمية أو قانون علمي. وهو ما سنبينه في هذا المطلب.

أولاً الفرضية :

أ. الفرض لغة: التقدير، والفرض: الحز في الشيء ([14]) وأصل الفرض القطع، ومنه أخذ فرض النفقات، وهو بيان مقاديرها، وكذلك فرض المهر، قال الله تعالى : (أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً)([15])، ومثله

فرض الجند، وهو ما يقطع لهم من العطاء، وقيل: الفَرْض هاهنا بمْعنى التقَّدير: أي قَدَّر صَدَقة كلّ شيء وبَيَنَّه عن أمر الله تعالى. وإنما تأولناه على فرض التقدير دون فرض الإيجاب والإلزام " [16] .

ب. والفرضية في الاصطلاح: هو تخمين واستنتاج ذكي يصوغه ويتبناه الباحث مؤقتاً، لشرح بعض ما يلاحظه من الحقائق والظواهر [17] .

فالفرضية قد تكون مبدأ النظرية، فهي أوهى منها؛ لأنها احتمالٌ، في تفسير شيء معين، أو ظاهرة معينة. ومثالها ، فرضية الثقوب السوداء، وفرضية تلاشي الكون، ونظرية الارتداد العظيم وهي التي تسمى (النظرية الكمومية الحقلية). وهذه الثلاث الفرضيات هي المطروحة في نهاية الكون، في إطار نظرية الانفجار العظيم[18].

ثانياً: النظرية العلمية :

أ. النظرية لغة: مأخوذة من النَّظَر: ويقال : نَظَره يَنْظُره نَظَراً و مَنْظَراً ومَنْظَرة ونَظَر إليه. و المَنْظَر: مصدر نَظَر. تقول العرب: نَظَر يَنْظُر نَظَراً، وتقول: نَظَرت إلى كذا وكذا مِنْ نَظَر العين و نَظَر القلب، وهو: الإبصار والتأمل والتدبير والتقدير؛ ومن معانيه: التوقع؛ يقول القائل للمؤمَّل يرجوه: إنما نَـنْظُر إلـى الله ثم إليك أي إنما أَتَوَقَّع فضل الله ثم فَضْلك.

ومن معانيه: الانتظار والإمهال والتأخير؛ تقول: انْظُرُونا، أي انْتَظِرُونا، وأَنْظِرُونا معناه أَخِّرُونا؛ وقال الزجاج: قيل معنى أَنْظِرُونا انْتَظِرُونا أيضاً؛ ومنه قول الشاعر [19]:

أبـا هِنْدٍ فـلا تَعْجَـلْ علينـا وأنْـظِرْنـا نُـخَـبِّـرْكَ الـيقِينـا

وقال الفراء: تقول العرب أَنْظِرْنـي أَي انْتَظِرْنـي قليلاً، ويقول المتكلم لمن يُعْجِلُه: أَنْظِرْنـي أَبْتَلِع رِيقِـي أي أَمْهِلْنِـي.

ومن معاني النظر: المجاورة والمقاربة؛ تقول العرب: دُور آل فلان تنظُر إلـى دُور آل فلان أَي هي بإزائها ومقابِلَةٌ لها. وتَنَظَّر: كـنَظَر. والعرب تقول: داري تنظُر إلـى دار فلان، ودُورُنا تُناظِرُ أَي تُقابِل، وقيل: إذا كانت مُـحاذِيَةً[20].

ب. مفهوم النظرية العلمية:

النظرية العلمية هي عبارة عن بنايات علمية وليست مجرد أفكار خيالية، فهي ليست صورة حديثة للمناظرات القديمة اللاهوتية عن عدد زوايا رأس الدبوس، فالنظريات تثبت أو تسقط بالاختبارات العلمية.

كما أن هناك تبادل بين قسمين من علماء النظريات، هما: صاحب النظرية، والقائم بالتجربة العلمية. فصاحب النظرية يرتب الاكتشافات العلمية السابقة في صورة نظرية، قد تتنبأ أو تفترض وجود أو اكتشاف معلومات جديدة تقتضيها بنية النظرية. أما القائم بالتجارب العملية والدراسات الاستكشافية، فيحاول أن يكشف تلك المعلومات التي تنبأت النظرية بوجودها، ولكنه قد ينتهي باكتشاف شيء مختلف تماما لم يسبق التنبؤ به على الإطلاق، وفي هذه الحالة يجب على صاحب النظرية أن يشرح هذه الاكتشافات الجديدة إما في نظرية معدلة أو في نظرية جديدة تماما. وذلك كنظريات الجسيمات الدقيقة، وكاكتشاف إشعاع الخلفية الكونية التي تنبأت بها نظرية الانفجار العظيم التي تفسر نشأة الكون، والتي قوت النظرية بينما كانت المسمار الأخير في نظرية الحالة المستقرة.

ومما يدل على تقدم العلم، أنه في الزمن القديم جداً، كان العلماء يدعون أنهم مسيطرون، تماما على التجربة والنظرية معاً، أما الآن فالتخصص هو السائد، على الرغم من أن أصحاب النظريات والقائمين بالتجارب مازالوا يحتاجون أن يقدروا الدور الذي يقوم به كل منهم للآخر، حيث أن عمل كل منهم مكمل للآخر[21].

ج. تعريف النظرية العلمية في الاصطلاح:

1. هي توضيح علاقة الأثر والسبب، بين المتغيرات؛ وذلك لشرح ظواهر معينة.
2. أو هي تفسير راجح غير جازم لظاهرة غامضة، مبني على شواهد ودلائل علمية، قابل للتعديل أو النقض.
3. أو هي تفسير موضوعي غير جازم لظاهرة معينة أو ظواهر مختلفة مبني على أدلة وبراهين علمية مترابطة، وتتنبأ بفرضيات جديدة.
4. أو هي : تفسير لظاهرة أو عدد من الظواهر الغامضة، تؤيده الأدلة والبراهين والشواهد والقرائن العلمية، وتتضمن فرضيات جديدة تتنبأ بها.

وكل هذه التعريفات صحيحة ومتقاربة، والنظريات مراتب بحسب قربها وبعدها من الحقائق.

فبعد أن يقوم الباحث بجمع القرائن والشواهد والدلائل العلمية لظاهرة ما، ويقوم بتوصيفها وتصنيفها وتحليلها، ومن ثم يقوم بتفسيرها تفسيرا منطقيا منسجما ومتناسقا بينها ومعها، ويستنبط منها استنتاجا أو تعميما متماسكا، ويتنبأ بفرضيات جديدة قائمة على التفسير في ضوء الأفكار العامة للنظرية.

والنظرية العلمية تكون قابلة للتعديل أو التبديل، فهي ليست قوانين أو حقائق ثابتة، بل هي تعميمات تدعمها أفضل البراهين العلمية المتاحة، ومهما كانت النظرية تقوم على أساس جيد من الملاحظات الدقيقة للحقائق المعروفة التي استندت إليها ستظل متمشية مع ما يعرفه العلماء المختصون في زمانها. " وأقوى النظريات هي تلك التي تقدم شرحاً أكثر منطقية لتلك الملاحظات"[22].

وقد سميت نظرية؛ لأنها مبنية على النظر والتأمل، في تفسير ظاهرة معينة، والانتظار والتمهل في القطع بذلك التفسير، حتى يثبت صحته، بالدلائل القطعية، فتصبح حقيقة علمية، أو يتبين خطؤها ويحل غيرها محلها.

وأحيانا تبدأ النظرية على الافتراض والتخمين لتفسير أمر ما، أو ظاهرة معينة، ثم تتطور هذه الفرضية بعدد من الشواهد والدلائل، إلى أن تصبح نظرية، ثم إما أن تتأكد هذه النظرية بالدلائل والشواهد العلمية القوية القطعية إلى أن تصبح حقيقة علمية؛ وإما أن يظهر خطؤها وتنهار بناء على شواهد ودلائل علمية قوية تأتي بنقيضها، أو تعديلها؛ وعليه فالفرضية أوهى من النظرية، وأحياناً تكون مبدأ النظرية فرضية.

"ومن هنا فإن النظرية السليمة التي يتم الوصول إليها في دراسة علمية، لا يمكن اعتبارها حقيقة نهائية، وإنما تمثل أفضل إجابة يمكن الوصول إليها، وهي قابلة للتغيير وإحلال أخرى محلها، ولذا كان من ضوابط الإعجاز وجود الحقيقة العلمية الناصعة، وعدم ربط آي القرآن الكريم بالنظريات القابلة للتبديل والتغيير إلا ما ترجح منها وكان موافقاً للنص"[23].

ثالثاً: الحقيقة العلمية:

أ. الحقيقةُ في اللغة: تقول حق الأمر يحِق ويحُق حقاً وحقوقاً، إذا صار حقاً ثابتاً [24]، وتحقق عنده الخَبَرُ أَي صحَّ. وحقَّقَ قوله وظنَّه تحقيقاً أَي صدَّقَ. وكلامٌ مُحَقَّقٌ أَي رَصِين؛ قال الراجز: دَعْ ذا وحَبِّرْ مَنْطِقاً مُحَقَّقا؛ والشيء المتحقق وجوده [25]، وأصله المطابقة [26]. والحَقُّ: صِدْق الحديثِ. والحَقُّ: اليَقين بعد الشكّ وأَحقَّ الرجلُ: قال شيئاً أَو ادَّعَى شيئاً فوجب له؛ و استحقَّ الشيءَ: استوجبه؛ وفي التنزيل: (فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً)[27]، أَي استوجباه بالخِيانة، وأَحقَّتْ

الشيء أَي أَوجبته. وفي التنزيل: (ولكن حَقَّ القولُ منـي)[28]. أَي وجَب ولَزِم، والحق نقيض الباطل، فالحقيقة مفردة وجمعها حقائق.

وعرفها الراغب الأصفهاني بقوله: الحقيقة تستعمل تارة في الشيء ثبات ووجود [29]، أو هو الشيء الثابت قطعاً ويقيناً[30] ، والتاء فيها للتأنيث .

وأما العلمية : فهي صفة للحقيقة، والعلم نقيض الجهل[31] .

وقد سبق تعريف العلم في الاصطلاح: والمقصود به في هذا المقام العلم التجريبي، وعليه فتعرف الحقيقة العلمية بما يلي:

ب. تعريف الحقيقة العلمية في الاصطلاح:

هي تفسير جازم ـ لظاهرة معينة أو أكثر ـ ثبت صحته بالأدلة العلمية القاطعة [32] وأجمع عليها كافة العلماء المختصين. كاكتشاف إشعاع الخلفية الكونية، وإثبات تباعد المجرات وتوسع الكون، التي افترضتهما نظرية الانفجار العظيم مما عزز صحة هذه النظرية المفسرة لنشأة الكون. أو كحقائق الأطوار التي يمر بها الجنين في بطن أمة.

أو هي كما عرفها بعضهم: المفهوم الذي تجاوز المراحل الفرضية والدراسات النظرية حتى أصبح ثابتاً مجمعاً عليه من قبل كافة العلماء المختصين، كتمدد المعادن بالحرارة، وانكماشها بالبرودة، وتبخر الماء عند درجة مئوية تحت الضغط الجوي العادي، وتجمده عند درجة الصفر المئوي [33].

المبحث الثاني

مذاهب العلماء في التفسير العلمي

مقدمة:

للعلماء والمفسرين قديما وحديثا مذاهب على اشتمال القرآن للعلوم والمعارف الإنسانية والكونية، فقد تفاوتت آراؤهم في ذلك بين موسع جعل القرآن موسوعة معارف غير متناهية حتى كاد أن يخرجه عن مهمته الأساسية في الهداية والتشريع، وبين مضيق أنكر أي علاقة له بالعلوم والمعارف قاصرا دوره في الهداية والتشريع، وبين طرف وسط تقيد بما جاء في القرآن من كونه كتاب فيه علم الله الذي أراد أن يطلع العباد عليه تدليلا على صدقه وإثباتا لإعجازه وكشفا لأسرار آياته المخلوقة، حتى تقام به الحجة في الهداية والتشريع، فهو كتاب علم وهداية وإعجاز وتشريع. ويمكن حصر مذاهبهم في المسألة بين موسع ومضيق ومقيد، وهو ما سنستعرض بيانه في هذا المبحث مع مناقشة أدلة كل فريق ونقرر ما نراه راجحاً في المسألة في المطالب التالية:

المطلب الأول : الموسعون القائلون: باشتمال القرآن لكل العلوم.

المطلب الثاني: المضيقون القائلون : بأن القرآن لا علاقة له بالعلوم.

المطلب الثالث: المقيدون : القائلون باشتمال القرآن على علم الله

المطلب الرابع: مناقشة الأقوال

المطلب الخامس : القول الراجح وأدلته

المطلب الأول

الموسعون القائلون باشتمال القرآن على كل العلوم

من يرى اشتمال القرآن على كل العلوم والمعارف، وأن ما من شيء إلا وهو مذكور في القرآن ولو بوجه ما، وهؤلاء يستدلون بعموم النصوص مثل قوله تعالى: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ)[34] ، وقوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)[35].

وممن اشتهر عنهم هذا القول الإمام الغزالي والسيوطي، ومن المعاصرين طنطاوي جوهري.

يقول الغزالي في الفصل الخامس تحت عنوان انشعاب سائر العلوم من القرآن:" ولعلك تقول: أن العلوم وراء هذه كثيرة كعلم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه وعلم السحر والطلسمات وغير ذلك. [إلى أن قال بعد أن عدد كثيراً من العلوم] .... ولو ذهبت أفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ولا تمكن الإشارة إلا إلى مجامعها وقد أشرنا إليه حيث ذكرنا أن من جملة معرفة الله تعالى معرفة أفعاله فتلك الجملة تشتمل على هذه التفاصيل وكذلك كل قسم أجملناه لو شعب لانشعب الى تفاصيل كثيرة فتفكر في القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين وجملة أوائله وإنما التفكر فيه للتوصل من جملته الى تفصيله وهو البحر الذي لا شاطئ له [36]

وقال السيوطي: " ذكر القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب قانون التأويل إن علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة قال بعض السلف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وهذا مطلق دون اعتبار تراكيبه وما بينها من روابط وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله عز وجل [37]

وقال بعض العلماء: العلوم المستخرجة من القرآن ثمانون علما ودون فيها كتب. وعن الإمام الغزالي عن بعضهم : إن القرآن يحتوي سبعا وسبعين ألف علم ومئتي علم كذا ذكره في الباب الرابع من كتاب آداب التلاوة من أحياء العلوم وقد قيل: جميع العلم في القرآن لكن ... تقاصر عنه أفهام الرجال [38]

المطلب الثاني

المضيقون

والفريق الثاني:

هم القائلون بأن القرآن الكريم هو كتاب هداية وتشريع فقط، ولا علاقة له بالعلوم المختلفة ، ومنهم الإمام الشاطبي الذي رد على أصحاب القول الأول في الموافقات في بيان قصد الشارع، في وضع الشريعة للإفهام حيث قال: " أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدَّ ؛ فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين ، أو المتأخرين ، من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون، من أهل الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح .

وفيما بعد: ادعى الشاطبي أن المعاني، التي لا عهد للعرب بها، غير معتبرة فقال: "وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى: **(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)**(النحل:8). وقوله **(مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)**(الأنعام:38) .ونحو ذلك ...، فأما الآيات فالمراد بها ، عند المفسرين : ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، أو المراد بالكتاب في قوله: **(مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)**(الأنعام:38) اللوح المحفوظ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع تلك العلوم النقلية والعقلية "..." فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه ، كما أنه لا يصلح أن ينكر منه ما يقتضيه ، **ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه، على كل ما يضاف علمه، إلى العرب خاصة** ، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له، ضل عن فهمه، وتقول على الله ورسوله فيه، والله أعلم وبه التوفيق" [39].

المطلب الثالث

المقيدون

لما كانت رسالة القرآن الرئيسية ومهمته الأولى هي هداية الناس إلى الله تعالى وإلى دينه الحق وإرشادهم إلى مصالحهم في الدنيا والآخرة بمنهجه القويم، كان لا بد وأن يتضمن ـ لإثبات هذا الحق ـ، على الدليل القاطع والبرهان الساطع والحجة البالغة، القائمة على العلم الحق ،قال تعالى: (أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ)[40] .

ومن هنا كان القرآن كتاب علم وإعجاز، فيما تضمنه من علم الله الذي أراد أن يطلع العباد عليه، والمتعلق بأسرار الخلق والتكوين في الأنفس والآفاق وحكم التشريع، وما في إظهار ذلك من البينات المعجزات والحجج الواضحات قال تعالى: (لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)[41] وقال تعالى: (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[42]؛ وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[43].

- وهو العلم الذي كذب به المشركون لعدم إحاطتهم به وعدم تمكنهم من معرفة تأويله وكشف حقائقه وأسراره، التي ستتحقق وتنكشف في المستقبل، كما قال تعالى: (بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)[44]،
- وهو العلم الذي وعد الله بمجيء تأوليه وتصديق أنباءه و ظهور حقائقها وانكشاف أسرارها في المستقبل، قال تعالى : (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)[45]. أي ولتعلمن أيها الناس صدق أنباء كتابنا وصدق دلائل آياته في الآفاق والأنفس وأنها حق[46] ؛
- بعد حين أي في المستقبل ولا حد للحين عند العرب، وإنما هو مطلق يصدق على كل وقت، وقد بين الله هذا الحين الذي يظهر فيه تصديق كتابه وانكشاف أسرار أنبائه ، بأن لكل نبأ حين معين خاص به ومستقر تنكشف فيه حقيقته . قال تعالى : (لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)[47]. أي: لكل خبر في القرآن حين وزمن ينكشف فيه ويستقر تأويله بانكشاف حقيقته ومعناه والمراد منه، أي وسوف تعلمون أيها المكذبون، صحة ما أخبر به. كما قال تعالى: (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)[48]،

و عندما يتحقق تأويل آيات الله المنزلة التي تتضمن علمه بآياته الكونية، وتنكشف آياته الكونية مصدقة ومطابقة لأنباء آياته المنزلة، يتحقق وعد الله ويظهر إعجاز كتابه المتمثل في سبقه للعلوم البشرية في كشف حقائق الكون وأسرار الحياة، قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[49]. و قوله تعالى : (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا)[50].

ففي الآية الأولى والثانية: وعدٌ من الله تعالى ، بأن يرينا آياته في الآفاق والأنفس، ويكشف لنا تأويلها ، فنعرف المقصود منها، فالحمد لله على هذا الوعد، وتلك الرؤية، وذلك الكشف.

- ولقد زخر القرآن الكريم في معرض حديثه عن السماء والأرض والحياة والأحياء، بأنباء وأسرار لم يكشف عنها وتتجلَّ حقائقها وكيفياتها إلا بعد تقدم العلوم وتطور الإمكانات في هذا العصر، تحقيقاً وتصديقاً لوعد الله القائل: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)[51]، فهذه الآيات التي وعدنا الله سبحانه بأن سيرينا إياها في الآفاق والأنفس، والتي أودع الله نبأها في كتابه، لم يتبين تأويلها، ويتضح تفسيرها وقت نزول القرآن، سيتبين تأويلها ولو بعد قرون.

وعلاوة على هذا فقد حمل القرآن بين ثناياه إشارات معجزة إلى حقائق علمية مبثوثة في الأنفس والآفاق، لتكون إشارات هادية ونبراساً منيراً يوجه من خلاله إلى البحث والاستقصاء لمزيد من التفاصيل والأسرار، ولا يمكن للقرآن أن يوجه بشيء يعود عليه بالتشكيك أو التكذيب، أو عندما يتحدث عنه تكون النتيجة مناقضة لما نطق به أو دل عليه، ولا ينتفي هذا التناقض إلا إذا كان الوصف القرآني لهذا الكون متفقاً مع ما هو عليه من حقيقة خلقه، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[52] ، وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[53] ، وقال تعالى:(لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ)[54].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: " فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب، وهو القرآن العظيم؛ ولهذا قال: (أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ) أي أنزله وفيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل"[55].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإن شهادته بما أنزل إليك هي شهادته بأن الله أنزله بعلمه، فما فيه من الخبر هو خبر عن علم الله، ليس خبراً عمن دونه، وهذا كقوله: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ)[56]، وليس معنى مجرد كونه أنه معلوم له، فإن جميع الأشياء معلومة له، وليس في ذلك ما يدل على أنه حق، لكن المعنى: أنزله فيه علمه، كما يقال: فلان يتكلم بعلم، فهو سبحانه أنزله بعلمه، كما قال: (قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[57]،"[58].

ولهذا قال النبيﷺ:" ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة" [59].

قال ابن حجر في شرح الحديث:" ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه، وفي بلاغته، وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصرٌ من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون، يدل على صحته دعواه ..... فعم به من حضر، ومن غاب، ومن وُجِد ومن سيوجد " [60].

يقول ابن عاشور في تفسيره:" وأنا أقول: إن علاقة العلوم بالقرآن على أربع مراتب:

الأولى : علوم تضمنها القرآن كأخبار الأنبياء والأمم، وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة.

الثانية : علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيأة وخواص المخلوقات.

الثالثة : علوم أشار إليها أو جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق.

الرابعة : علوم لا علاقة لها به إما لبطلانها كالزجر والعيافة والميثولوجيا، وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي"[61].

ويقول في معرض تقسيمه لأنواع الإعجاز العلمي : " وأما النوع الثاني من إعجازه العلمي فهو ينقسم إلى قسمين: قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم فينبلج للناس شيئا فشيئا انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهوم وتطورات العلوم، وكلا القسمين دليل على أنه من عند الله لأنه جاء به أمي في موضع لم يعالج أهله دقائق العلوم، والجائي به ثاو بينهم لم يفارقهم. وقد أشار القرآن إلى هذه الجهة من الإعجاز بقوله تعالى في سورة القصص (قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ)[62] ، ثم إنه ما كان قصاراه مشاركة أهل العلوم في علومهم الحاضرة، حتى ارتقى إلى ما لم يألفوه وتجاوز ما درسوه وألفوه"[63].

المطلب الرابع

مناقشة الأقوال

والذي يظهر لي في تحقيق المسألة - والله أعلم - : أن الذين ادعوا اشتمال القرآن لكل العلوم، لم يعنوا بذلك تفاصيل هذه العلوم، وإنما عنوا أن القرآن اشتمل على مجامع العلوم، أي تضمن أشارة لكل علم، وكما بين الغزالي والسيوطي ذلك باعتبار العلاقة والروابط بين العلوم ، ولم يزعموا أن تفاصيل العلوم المختلفة في القرآن الكريم وهذا حق، لكن لا يتعلق بهذا دعوى، ما عدا عدهم لعلوم القرآن فإنه رجماً بالغيب .

وفي المقابل فإن الذين أنكروا على هؤلاء، كان الاستنكار في موضع لا يدعونه أصلاً، فلا مبرر له، بمعنى أنهم نسبوا إليهم شيئاً لا يدعونه، وعليه فلا يوجد نزاع حقيقي في تضمن القرآن على العلوم بوجه ما دون تفاصيل هذه العلوم، وإنما يمكن أن يستنبط مما ذكر على ما لم يذكر منها ويتوصل به إليها ،

بحكم الروابط بين العلوم، ولا يدل على الاشتمال ، وهذا سببه وحدة الخلق ووحدة السنن الإلهية في خلق الله.

من جهة أخرى دعوى الشاطبي أن القرآن لا يفهم إن عن طريق فهم العرب وما عهدوه، وكل فهم عن غير هذا الطريق فهو باطل لم يقصده القرآن، وتحميله ما لا يحتمل، وهذا غير صحيح فإن الله أخبر في كتابه بأنه كتاب علم وأن العرب لم تحط بعلم القرآن في أكثر من آية (بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)[64]، ولو صحت هذه الدعوى لأمكن القول: أنه لا بد أن يتوسل إلى فهمه القرآن بالأمية لأن العرب أمة أمية، وهذا يناقض العقل الصحيح والقرآن الذي يدعوا إلى العلم، وإنما المقصود بنزوله بالمعهود لديهم نزوله بلسانهم وتقريبه لخطابهم بلغتهم ، لا انحصار علمه بعلومهم، ولا نفي معرفة علومه التي لم يعرفونها، وقد يكون إنما قصد أن العلوم التي كانت عند العرب هي التي تضمنها القرآن بالإقرار أو التصحيح أو الإبطال.

المطلب الخامس :

القول الراجح

والراجح في المسألة : هو القول الثالث ـ لقوة أدلة القائلين به ـ وهو أن القرآن قد اشتمل على كثير من العلوم التي وردت فيه أو أشار إليها، وتضمنتها سوره وآياته، لا على وجه الاستقصاء والتفصيل كعلم متخصص وإنما على سبيل الإشارة والتمثيل، في سياق استدلال القرآن بآيات الله الكونية المبثوثة في الآفاق والأنفس وفي الحياة وتوجيه النظر إليها للتأمل والتفكر والتدبر، والغرض منها هداية الناس وإقامة الحجة على الإيمان بالله والدعوة إلى صراطه المستقيم، وهذا هو قول أكثر المفسرين الأقدمين والمعاصرين.

المبحث الثالث

حكم التفسير العلمي

هل يجوز تفسير الآيات القرآنية الكونية بمعارف وعلوم ومكتشفات العلم الحديث ؟

وهنا كذلك نجد العلماء لهم مذاهب وآراء، بين معترض ومؤيد، ووقع خلاف في هذا النوع من التفسير، بين العلماء من فترة طويلة، ولا زال الخلاف قائماً حتى هذه الساعة [65] .

وسأتناول هذه المسألة في أربعة مطالب:

المطلب الأول: المانعون

الفريق الأول: من لا يرى جواز تفسير الآيات الكونية في القرآن بمكتشفات ومعارف العصر الحديث، وينكر هذا النوع من التفسير ويشن الغارة على القائلين به ويشنع عليهم، بل وقد يتهمهم بتهم باطلة [66] " ويمثلهم في هذا العصر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت، والشنقيطي صاحب أضواء البيان [67]، ود . محمد حسين الذهبي .. وحجتهم في ذلك:

1. أن القرآن كتاب هداية، وإن الله لم ينزله ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون،وأنواع المعارف . وقد تحدثنا عن هذا في مبحث سابق فليرجع إليه.
2. ثم يقولون: إن هناك دليلاً واضحاً من القرآن على أن القرآن ليس كتاباً يريد الله به شرح حقائق الكون ،وهذا الدليل هو ما روي عن معاذ أنه قال يا رسول الله إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا

عن الأهلة . فما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يستوي ويستدير، يم ينقص حتى يعود كما كان. فأنزل الله هذه الآية: (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...)"[68][69].

3. أن التفسير العلمي للقرآن يعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان ،والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير.
4. أن التفسير العلمي للقرآن يحمل أصحابه والمغرمين به على التأويل المتكلف الذي يتنافى مع الإعجاز ،ولا يسيغه الذوق السليم .
5. أن السلف الصالح، من الصحابة، والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى، سوى ما تقدم، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا" [70].
6. أن المعاني والدلائل المعتبرة في الخطاب هي التي كانت معلومة لدى العرب وقت نزول القرآن، أما التي لم تكن معلومة لديهم فهي غير مقصودة ولا تدخل ضمن الخطاب القرآني فلا عبرة بها.

المطلب الثاني: المجيزون

الفريق الثاني: الذين يرون مشروعية هذا اللون من التفسير استجابة لدعوة القرآن للتفكر والتدبر والبحث والنظر، ولورود الأدلة الصريحة بجواز هذا النوع من التفسير لأنه تصديق وتحقيق لوعد الله في كتابه بتأويل آياته وأنبائه في أسرار الخلق والتكوين في الآفاق والأنفس، وكونه مثل التفسير المأثور، ولا يعدوا أن يكون من قبيل التفسير بالرأي، حتى ولو أخطأ المفسر في حمل آية ما، فإن القرآن ينزه عن الغلط، والغلط في التفسير وليس في النص، ولا يمكن أن يؤاخذ القرآن بتفسير خاطئ حمله به المُفسر، والقرآن منزه عنه. فهذه جملة أدلتهم.

يقول ابن عاشور في المسألة: " وإما على وجه التوفيق بين المعنى القرآني وبين المسائل الصحيحة من العلم حيث يمكن الجمع. وإما على وجه الاسترواح من الآية كما يؤخذ من قوله تعالى: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ)[71] أن فناء العالم يكون بالزلازل ومن قوله: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)[72]، الآية أن نظام الجاذبية يختل عند فناء العالم. وشرط كون ذلك مقبولا أن يسلك فيه مسلك الإيجاز فلا يجلب إلا الخلاصة من ذلك العلم ولا يصير الاستطراد كالغرض المقصود له لئلا يكون كقولهم: الشيء بالشيء يذكر.

وللعلماء في سلوك هذه الطريقة الثالثة على الإجمال آراء: فأما جماعة منهم فيرون من الحسن التوفيق بين العلوم غير الدينية وآلاتها وبين المعاني القرآنية، ويرون القرآن مشيرا إلى كثير منها. قال ابن رشد الحفيد في فصل المقال أجمع المسلمون على أن ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها، ولا أن تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل، والسبب في ورود الشرع بظاهر وباطن هو اختلاف نظر الناس. وتباين قرائحهم في التصديق وتخلص إلى القول بأن بين العلوم الشرعية والفلسفية اتصالا. وإلى مثل ذلك ذهب قطب الدين الشيرازي في شرح حكمة الإشراق، وهذا الغزالي والإمام الرازي وأبو بكر ابن العربي وأمثالهم صنيعهم يقتضي التبسط وتوفيق المسائل العلمية، فقد ملأوا كتبهم من الاستدلال على المعاني القرآنية بقواعد العلوم الحكمية وغيرها وكذلك الفقهاء في كتب "أحكام القرآن"، وقد علمت ما قاله ابن العربي فيما أملاه على سورة نوح وقصة الخضر وكذلك ابن جني والزجاج وأبو حيان قد أشبعوا "تفاسيرهم" من الاستدلال على القواعد العربية، ولا شك أن الكلام الصادر عن علام الغيوب تعالى وتقدس

لا تبنى معانيه على فهم طائفة واحدة ولكن معانيه تطابق الحقائق، وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكانت الآية لها اعتلاق بذلك فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت إليه أفهام البشر وبمقدار ما ستبلغ إليه. وذلك يختلف باختلاف المقامات ويبنى على توفر الفهم، وشرطه أن لا يخرج عما يصلح له اللفظ عربية، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، ولا يكون تكلفا بينا ولا خروجا عن المعنى الأصلي حتى لا يكون في ذلك كتفاسير الباطنية"[73].

وهؤلاء المجيزون على رأيين:

الأول: المقتصرين في التفسير بالحقائق العلمية دون النظرية:

وهؤلاء يحددون نوع المعارف والعلوم والاكتشافات التي يجوز تفسير آيات القرآن بها، فيجوزون التفسير بالحقائق القطعية الثابتة، من المعارف والعلوم والاكتشافات، ولا يجوزون النظريات والفروض العلمية، لأنها مظنة التبديل والتعديل، زيادة في الاحتياط والحذر في تفسير النص من تبدل النظريات وتأرجحها، وهؤلاء هم أغلب من كتب عن التفسير العلمي.

يقول د. دياب في معرض مناقشته لمناهج المفسرين العلميين:

" إن المنهج الصحيح للتفسير يجب كما أشار إليه كثير من الدارسين والباحثين، أن يعتمد على الحقائق العلمية الثابتة في المقارنة والتفسير للآيات الكونية، وأن يتجنب الخوض في تأويل الآيات الكونية في ضوء النظريات التي لم تشب عن طوق الظن، ولم تثبت بعد والتي ما زالت محل نظر وتمحيص من العلماء، وهذا خطأ المقارنين ، ويجب ألا يحمل على القرآن سوء فهم طائفة من الباحثين ، وكيف نستطيع أن نفهم أن القرآن لا يصادم حقيقة علمية يكشف البحث أنها من نواميس الكون ونظم وجوده، ... دون صلة بها ، و إدراك لأبعادها، إن هذا لن يتم إلا في ضوء التفسير العلمي للآيات الكونية ، وهذا ما سلكه أولئك الباحثون وإن اختلفت مناهجهم كما رأينا[74].

الثاني: الموسعين في التفسير بجميع المكتشفات والمعارف العلمية:

وهذا الفريق لا يرى بأسا من تفسير الآية في ضوء المعارف العصرية والاكتشافات العلمية الحديثة، سواء كانت حقائق علمية أو نظريات علمية أو حتى فرضيات علمية، ما دامت متوافقة مع دلائل النصوص القرآنية، ولا تتناقض معها وتحتمل معانيها وكيفياتها نصوص تلك الآيات ودلائلها العربية والشرعية. فإن القرآن نزل بلسان العرب، بدون تكلف أو تمحل أو زيغ. وإن كانت درجة المكتشفات العلمية أيضا لها أثر كبير وميزة متفاوتة في تفسير النص ، فالحقيقة أقوى من النظرية والنظرية الراجحة المقبولة أقوى من غيرها والفرضية التي لا تخالف عقلا ولا شرعا وتحتملها الآية ولا تتناقض مع نصوص القرآن، فهذه لا بأس في تفسير النص بها.

يقول سيد قطب: " ونحن في دراسة القرآن لا نلجأ إلى تلك التقديرات على أنها حقائق نهائية فهي في أصلها ليست كذلك، و إن هي إلا نظريات قابلة للتعديل ، لا نحمل القرآن عليها، إنما نجد أنها قد تكون صحيحة إذا رأينا بينها وبين النص القرآني تقاربا ووجدنا أنها تصلح تفسيرا للنص القرآني بغير تمحل، فنأخذ من هذه أن النظرية أو تلك أقرب إلى الصحة لأنها أقرب إلى مدلول النص القرآني" [75] .

وهذا النص لسيد قطب الذي يوضح منهجه ومذهبه في التفسير العلمي على خلاف ما نقل بعض الناس عنه من معارضته للتفسير العلمي عموماً، وزيادة على هذا فإننا نجد تفسيره مليء بالتفسيرات العلمية وينقل كثيرا من المعلومات ذات العلاقة بمدلول الآيات أو ما يبينها ويدور حولها، ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ)[76]، : قال: (وهو تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسراً علىالالتفات إلى ما كشف حديثاً عن كروية الأرض، ومع أنني في هذه الظلال حريص على أن لا أحمل القرآن على النظريات التي يكشفها الإنسان) ... مع هذا الحرص ، فإن هذا التعبير يقسرني قسراً على النظر في موضوع كروية الأرض ... إلخ " [77]. وعند قوله تعالى (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ)[78] ، تلكم عن عموم الزوجية بما فيها ززوجية الذرة مؤلفة من زوج من الكهرباء موجب وسالب"[79].وعند قوله تعالى (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَاوَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ)[80] ، تكلم الأستاذ عن تكون السموات والأرض وعن تكون القشرة الأرضية بالتفصيل ونقل أشياء عن الكتب العلمية الحديثة"[81].

ومن هؤلاء الدكتور زغلول النجار حيث يقول: " حرص كثير من علماء المسلمين، على ألا يتم تأويل الإشارات العلمية، الواردة في القرآن الكريم إلا في ضوء الحقائق العلمية المؤكدة من القوانين والقواعد الثابتة، أما الفروض والنظريات فلا يجوز تخديمها في فهم ذلك وحتى هذا الموقف نعتبره تحفظا مبالغا فيه، فكما يختلف دارسو القرآن الكريم في فهم بعض الدلالات اللفظية، والصور البيانية، وغيرها من القضايا اللغوية ولا يجدون حرجا في ذلك العمل الذي يقومون به في غيبة نص ثابت مأثور، فإننا نرى أنه لا حرج على الإطلاق في فهم الإشارات الكونية الواردة بالقرآن الكريم على ضوء المعارف العلمية المتاحة، حتى ولو لم تكن تلك المعارف قد ارتقت إلىى مستوى الحقائق الثابتة، وذلك لأن التفسير يبقى جهدا بشريا خالصا- بكل ما للبشر من صفات القصور والنقص وحدود القدرة، ثم إن العلماء التجريبيين قد يجمعون على نظرية ما. لها من الشواهد ما يؤيدها، وان لم ترق بعد إلى مرتبة القاعدة أو القانون، وقد لا يكون أمام العلماء من مخرج للوصول بها إلى ذلك المستوى أبدا، فمن أمور الكون العديدة مالا سبيل للعلماء التجريبيين من الوصول فيها إلى حقيقة أبدا، ولكن قد يتجمع لديهم من الشواهد ما يمكن أن يعين

على بلورة نظرية من النظريات، ويبقي العلم التجريبي مسلما بأنه لا يستطيع أن يتعدي تلك المرحلة في ذلك المجال بعينه أبدا، والأمثلة علي ذلك كثيرة منها النظريات المفسرة لأصل الكون وأصل الحياة وأصل الإنسان، وقد مرت بمراحل متعددة من الفروض العلمية حتى وصلت اليوم إلى عدد محدود من النظريات المقبولة، ولا يتخيل العلماء أنهم سيصلون في يوم من الأيام إلى أكثر من تفضيل لنظرية على أخرى، أو تطوير لنظرية عن أخرى، أو وضع لنظرية جديدة، دون الإدعاء بالوصول إلى قانون قطعي، أو قاعدة ثابتة لذلك، فهذه مجالات إذا دخلها الإنسان بغير هداية ربانية فإنه يضل فيها ضلالا بعيدا، وصدق الله العظيم اذ يقول: (مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً)[82]. وذلك لأنه على الرغم من أن العلماء التجريبيين يستقرئون حقائق الكون بالمشاهدة والاستنتاج، أو بالتجربة والملاحظة والاستنتاج، في عمليات قابلة للتكرار والإعادة، إلا أن من أمور الكون مالا يمكن إخضاعه لذلك من مثل قضايا الخلق: خلق الكون، وخلق الحياة وخلق الإنسان. وهي قضايا لا يمكن للإنسان أن يصل فيها إلي تصور صحيح أبدا بغير هداية ربانية، ولولا الثبات في سنن الله التي تحكم الكون وما فيه ما تمكن الإنسان من اكتشافها،... ولا يظن عاقل أن البشر مطالبون بما هو فوق طاقاتهم ـ خاصة في فهم كتاب الله ـ الذي أنزل لهم، ويسر لتذكرهم لقول الحق تبارك وتعالي: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)[83].

ففي الوقت الذي يقرر القرآن الكريم فيه أن الله لم يشهد الناس خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم، نجده في آيات أخر يأمرهم بالنظر في كيفية بداية الخلق، وهي من أصعب قضايا العلوم الكونية البحتة منها والتطبيقية قاطبة إذ يقول عز من قائل: (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[84].

مما يشير إلى أن بالأرض سجلا حافلا بالحقائق التي يمكن أن يستدل منها علي كيفية الخلق الأول، وعلي إمكانية النشأة الآخرة، والأمر في الآية من الله تعالي إلى رسوله الكريم ليدع الناس كافة إلى السير في الأرض، واستخلاص العبرة من فهم كيفية الخلق الأول، وهي قضية تقع من العلوم الكونية(البحتة والتطبيقية) في الصميم، إن لم تكن تشكل أصعب قضية علمية عالجها الإنسان.

وهذه القضايا: قضايا الخلق وإفنائه وإعادة خلقه لها في كتاب الله وفي سنة رسوله ـ ﷺ ـ من الإشارات اللطيفة ما يمكن الإنسان المسلم من تفضيل نظرية من النظريات أو فرض من الفروض والارتقاء بها أو به إلى مقام الحقيقة لمجرد ورود ذكر لها أو له في كتاب الله أو في سنة رسوله ـ ﷺ ـ ونكون بذلك قد انتصرنا بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للعلم وليس العكس.

وعلى ذلك فإني أرى جواز فهم الإشارات العلمية الواردة بالقرآن الكريم علي أساس من الحقائق العلمية الثابتة أولا، فان لم تتوافر فبالنظرية السائدة، فان لم تتوافر فبالفرض العلمي المنطقي المقبول، حتى لو أدى التطور العلمي في المستقبل إلى تغيير تلك النظرية، أو ذلك الفرض أو تطويرهما أو تعديلهما، لأن التفسير ـ كما سبق أن أشرت يبقي اجتهادا بشريا خالصا من أجل حسن فهم دلالة الآية القرآنية إن أصاب فيه المرء فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، ويبقي هذا الاجتهاد، قابلا للزيادة والنقصان، وللنقد والتعديل والتبديل"[85] .

المطلب الثالث: مناقشة القولين:

مناقشة القول الأول: الذي يظهر لي والله أعلم أن الحجج التي احتج بها الفريق الأول غير كافية للمنع من جواز التفسير العلمي، مع ملاحظة أن الأخطاء التي تقع ليس في التفسير وإنما من المفسر لمخالفته الشروط والضوابط ويمكن الإجابة على حججهم كما يلي:

- بالنسبة للحجة الأولى فإن كون القرآن كتاب هداية وتشريع لا يمنع أن يكون كتاب علم وإعجاز بل هو يقتضي ذلك وقد فصلنا هذا الأمر في مبحث سابق فليرجع إليه.
- أما الاستدلال بما ورد في سبب نزول الآية : (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ) فهو بحاجة إلى أن يثبت وإلا فهو معارض بما رواه الطبري في تفسيره عن قتادة في هذه الآية: قالوا سألوا النبي ﷺ لم جعلت هذه الأهلة ؟ فأنزل الله فيها ما تسمعون (هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...) فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم ولمناسكهم وحجهم ولعدة نسائهم ومحل دينهم في أشياء والله أعلم بما يصلح خلقه.
وروى عن الربيع وابن جريج مثل ذلك . ففي هذه الروايات التي ساقها الطبري، إن السؤال هو : لم جعلت هذه الأهلة؟ وليس السؤال ما بال الهلال يبدوا دقيقاً ثم يزيد حتى يستوي ويستدير ثم ينقص . ولذلك فإنه لا دليل في الآية على إبعاد التفسير العلمي[86] .

وبالنسبة للقول الثاني: فصحيح أن العلم والمعارف تتغير وتتكشف لدى الإنسان، لكن هذا لا يعني أن ليس ثَمَّةَ ثابت في العلم، إذ أن الحقائق العلمية لا تعرف التغير والتبدل مهما مر الزمن وتقدمت العلوم، وإنما التغير في الظنيات التي لا تطابق الواقع والحقائق. ولهذا يشترط في جواز التفسير الالتزام بالشروط والضوابط التي ذكرت سابقاً.

- وأما الحجة الثالثة: فما ذكروه صحيحاً فهناك من يتناول هذا النوع من التفسير ولا يعرف الشروط والضوابط، بل يتمحل التوفيق ويتكلفه، وهذا خطأ راجع إلى المفسر لا إلى حقيقة التفسير، ولهذا يحرم التفسير على من ليس أهلاً له ولا يتقيد بشروطه وضوابطه سداً للذريعة وصوناً لكتاب الله فهو كالجاهل الذي يتصدر للفتوى مع مشروعية الفتوى لأهلها.
- والجواب على ما ذكره الشاطبي أن أصل المسألة موجود ومستفيض من تناول الصحابة والسلف الصالح، فقد تناولوا بالتفسير لما ذكره القرآن من علوم مختلفة لم تكن معهودة لدى العرب ولا معرفة لهم بها، وما فهموه من الرسول ﷺ وما عندهم من العلم وما فهموه واستنبطوه من كتاب حسب ما تقتضيه دلائل اللغة العربية. من ذلك تفسير ابن عباس وابن مسعود وغيرهم.
- وأما الجواب على ما قيل: أن المعاني والدلائل التي لم يعرفها العرب غير مقصودة في الخطاب، فإنه يرد من وجوه كثيرة، وقد سبق ما يكفي من الرد على هذه الشبه، وتناقضه مع النصوص التي تثبت سعة علم الله الذي ضمنه في كتابة وعدم إحاطة المشركين له ووعده بمعرفتها بعد حين، وإعجاز القرآن وعدم انقضاء عجائبه.

وأما القائلين: بجواز التفسير العلمي بالحقائق دون النظريات فذلك هو الأحوط ولكن لا يمنع من التفسير بالنظريات لأنها إن وافقت دلالة النص أقوى من مجرد الرأي، لأنه مدعم بالشواهد والأدلة العلمية.

المطلب الرابع: القول الراجح

والذي أراه صواباً في هذه المسألة ـ والله أعلم ـ أن التفسير العلمي جائز سواء كان التفسير بحقائق علمية أو نظريات مقبولة ما دامت تتوفر فيها شروط التفسير العلمي ، مع أن الأولى: تثمر إعجازاً للقرآن والثانية: تبقى في إطار التفسير بالرأي، والأدلة على جوازه ما يلي.

1. أن القرآن كتاب هداية وعلم وإعجاز ، فحتى يكون كتاب هداية لا بد أن يشتمل على العلم الإلهي بكل ما يتعلق بهداية الإنسان حجة وتشريعا، وتضمنه لهذا العلم دليل إعجازه، قال تعالى: (يَا

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً)[87]. وقد سبق الحديث عن هذا في مبحث سابق فليرجع إليه.

2. الوعد الصريح من الله في كتابه ببيان تأويل أنباء القرآن المتعلقة بأسرار الخلق والتكوين في السموات والأرض والأنفس، وتحقق هذا التأويل بالعلم المتكشف عن حقائق وأسرار تلك الأنباء، وهذا هو التفسير العلمي.

وهذا الدليل هو أصرح الأدلة وأقواها وأخصها على هذا النوع من التأويل والتفسير وأدلته واضحة صريحة في كتاب الله منها.

(بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)[88]، فبين الله سبحانه حقيقة وصف كتابه الذي كذب به المشركون، بأنهم لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويل ما لم يحيطوا بعلمه بعد؛ فأخبر أن له تأويلاً لم يأت بعد، ولم يحن وقت بيانه، وأشار أن له حيناً يقع فيه تأويل ما لم يحيطوا بعلمه.

و قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[89].

و قوله تعالى : (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا)[90].

و قوله تعالى : (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)[91].

و قوله تعالى : (لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)[92].

ففي الآية الأولى والثانية: وعدٌ من الله تعالى ، بأن يرينا آياته في الآفاق والأنفس، ويكشف لنا تأويلها ، فنعرف المقصود منها، فالحمد لله على هذا الوعد، وتلك الرؤية، وذلك الكشف.

وفي الآية الثالثة: يخبر الله تعالى فيها: أن معرفتنا لأنباء القرآن ستكشف وتتجلى بعد حين، وعليه فإن لكل نبأ في القرآن حيناً خاصاً به، عندما يأتي أجل ذلك الحين، يقع فيه تأويل ذلك النبأ، ينكشف المعنى المراد من النبأ، ويستقر المعنى عند ذلك التأويل. كما قال تعالى: (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)[93]، فيشرق معنى الآية، التي تحمل النبأ، ويظهر المراد بها، وهذا معنى قوله تعالى: (لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)[94]، أي وسوف تعلمون أيها المكذبون، صحة ما أخبر به.

3. أن التفسير العلمي نوع من التفسير بالرأي، بل هو أرقاها وأوضحها دليلا وأقواها حجة، وما قيل من الحجج والأدلة على جواز التفسير بالرأي ومشروعيته، يقال في التفسير العلمي.

4. التفسير العلمي فعله الرسول ﷺ كما في حديث تميم الداري عند مسلم، والصحابة كتفسير ابن عباس للمرسلات عرفا والعاصفات عصفا، بالرياح، ومن ذلك تفسير المراد بسائر الأوصاف، وتفسير الفتق والرتق ، ونحوها من الآيات، فهذا من قبيل التفسير العلمي، ولم ينفك المفسرون يفسرون آيات القرآن بما فتح الله عليه من العلوم ، لا سيما في الآيات التي لم يرد نص يكشف أو يعين المراد بها ، وإنما تركت لاجتهاد المفسرين حسب دلالتها ومقتضياتها في الشرع واللغة والعرف.

5. أن التفسير العلمي هو تطبيق عملي وإجابة عملية تطبيقية لدعوة القرآن المتكررة بالنظر والتفكر والتأمل والتدبر وإعمال العقل، والبعد عن الظن والتخرص.

6. وأخيراً لم يأت مانع يمنع من القول بمشروعيه من نص صحيح أو إجماع صريح أو حتى قول معتبر لأهل العلم، وأغلب ما جاء من نقد للتفسر العلمي إنما يتوجه للتفسير العلمي المتكلف والذي لا يلتزم بضوابط التفسير العلمي.

المراجع

1. القرآن الكريم
2. أساس البلاغة، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار النشر: دار الفكر - 1399هـ-1979م
3. أسرار التكرار في القرآن، تأليف: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دار النشر: دار الاعتصام - القاهرة - 1396، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد القادر احمد عطا
4. أضواء البيان ، محمد الأمين الشنقيطي
5. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي. ، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. -1415هـ -1995م. ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
6. الإعجاز العلمي في الرياح والبحار . أ . د . عبد المجيد الزنداني وأخرون ـ جامعة الإيمان .
7. الإعجاز العلمي للقرآن والسنة تاريخه وضوابطه ، للدكتور . عبد الله بن عبد العزيز المصلح ، من إصدارات هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، الطبعة الأولى .
8. إعجاز القرآن للباقلاني مكتبة الإرشاد . صنعاء طبعة الثانية1996م
9. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ـ دار المعارف القاهرة ، 1408هـ ،الأولى ، تحقيق : السيد أحمد صقر .
10. إعجاز القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار النشر: دار المعارف - مصر - 1997م، الطبعة: الخامسة، تحقيق: السيد أحمد صقر
11. إعراب القرآن، تأليف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - 1409هـ-1988م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د.زهير غازي زاهد
12. الإكمال للحسيني ، محمد بن علي الحسن أبو المحاسن الحسيني ، دار النشر ، جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي ، 1409هـ -1989م . اسم المحقق : د . عبد المعطي أمين قلعجي .
13. البدء والتاريخ، تأليف: وهو المطهر بن طاهر المقدسي، دار النشر: مكتبة الثقافة الدينية – بورسعيد
14. البداية والنهاية، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف – بيروت
15. البرهان في علوم القرآن ، لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، المولود 745 هـ ، والمتوفي 794) ، عدد الأجزاء (4) ، دار النشر : دار المعرفة ، بيروت ، اسم المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم .
16. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار النشر: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين
17. تاريخ الطبري ، محمد بن جريرالطبري أبو جعفر ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1407هـ الطبعة الأولى .
18. تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن السنة للشيخ / عبد المجيد بن عزيز الزنداني ، وآخرون من إصدارات هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، وهو من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة المنعقد باسلام آباد باكستان في الفترة من 25-28 صفر سنة1408هـ الموافق 18، 21 أكتوبر سنة 1987م .
19. تأويل مختلف الحديث ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريذ ، دار الجيل ، بيروت 1393هـ-1973م ، تحقيق : محمد زهري النجار .
20. التبيان في إعراب القرآن، تأليف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار النشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، تحقيق: علي محمد البجاوي
21. التبيان في تفسير غريب القرآن، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، دار النشر: دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر -1412هـ-1992م، الطبعة: الأولى، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي
22. التحرير والتنوير لابن عاشور مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com
23. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت
24. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تأليف: محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي أبو عبد الله، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1405، الطبعة: الرابعة، تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني
25. التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دمشق الأولى1410هـ ، تحقيق : د .محمد رضوان الداية .
26. التعريفات ، على بن محمد بن علي الجرجاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الأولى1405هـ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري .
27. تفسير البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1422هـ -2001م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق 1) د.زكريا عبد المجيد النوقي 2) د.أحمد النجولي الجمل

28. تفسير البغوي، تأليف: البغوي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك
29. تفسير البيضاوي، تأليف: البيضاوي، دار النشر: دار الفكر – بيروت
30. تفسير الجلالين، تأليف: محمد بن أحمد + عبدالرحمن بن أبي بكر المحلي + السيوطي، دار النشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى
31. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تأليف: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار النشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي
32. تفسير القرآن العظيم ، للإمام / أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، الطبعة الأولى 1415هـ 1994م ، دار المعرفة بيروت لبنان .
33. تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت – 1401
34. تفسير القرآن، تأليف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار النشر: دار الوطن - الرياض - السعودية - 1418هـ- 1997م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم
35. تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، دار النشر: المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب
36. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1421هـ - 2000م، الطبعة: الأولى
37. تقريب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني : دار الرشيد سوريا ، 1406هـ 1986م ط الأولى ، تحقيق : محمد عوامة .
38. التمهيد لابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب 1387هـ تحقيق : مصطفي بن أحمد العلوي
39. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، دار النشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب -1387، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري
40. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، تأليف: الفيروز آبادي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان
41. تهذيب اللغة ، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - 2001م، الطبعة: الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب
42. التوقيت على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، المولود سنة 952هـ والمتوفي سنة 1031هـ ، الناشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، سنة النشر 1410هـ ، الطبعة الأولى ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية .
43. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1421هـ- 2000م، تحقيق: ابن عثيمين
44. التيسير في القراءات السبع، تأليف: الامام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - 1404هـ/1984م، الطبعة: الثانية، تحقيق: اوتو تريزل
45. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت –1405
46. الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - 1407 - 1987، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا
47. الجامع الصغير للسيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن سابق الدين الخضيري ، دار طائر العلم ، مدينة جدة ، تحقيق : محمد عبد الرؤوف .
48. الجامع لأحكام القرآن " لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ، المتوفي سنة 671 هـ ، عدد الأجزاء (20) ، دار النشر : دار الشعب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، أسم المحقق : أحمد عبد العليم البردوني .
49. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت
50. جواهر القرآن، تأليف: أبو حامد الغزالي، دار النشر: دار إحياء العلوم - لبنان - 1405هـ- 1985م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني
51. حجة القراءات، تأليف: ابن زنجلة
52. الحجة في القراءات السبع، تأليف: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، دار النشر: دار الشروق - بيروت - 1401، الطبعة: الرابعة، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم
53. الدر المنثور، تأليف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - 1993
54. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، بن تيمية الحراني أبو العباس ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، الثانية 1404هـ ، تحقيق : محمد السيد الجليند .
55. دلائل الإعجاز، تأليف: الإمام عبد القاهر الجرجاني، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - 1415هـ- 1995م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د . التنجي

56. دلائل النبوة للفريابي ، جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي ، دار حراء ، مكة المكرمة ، 1406هـ الأولى ، تحيقيق : عامر حسن صبري .
57. الديباج لعبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي . المولود 849هـ والمتوفي 911هـ ، دار بن عفان ، الخبر السعودية ،1416هـ1996م ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري .
58. رحلة ابن جبير، تأليف: أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبر الكناني الأندلسي، دار النشر: دار الكتاب اللبناني / دار الكتاب المصري - بيروت / القاهرة، تحقيق: تقديم / الدكتور محمد مصطفى زيادة
59. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1404هـ الثانية ، تحقيق : محمد السيد الجليند .
60. روعة البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ، محمد على الصابوني ، دار الإحياء والتراث العربي ، بيروت لبنان ، 1418هـ1997م .
61. زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1404هـ الثالثة ، تحقيق : محمد السيد الجليند .
62. سلسلة الأحاديث الضعيفة ن لمحمد ناصرالدين الألباني ، ط 13991هـ المكتب الإسلامي ، بيروت .
63. سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر . مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، 1414هـ1994م ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
64. السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1411 - 1991، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن
65. السنن الواردة في الفتن ، أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى 1416هـ - تحقيق : ضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري .
66. شرح ابن ماجه ، للإمام / أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي . تحقيق : الشيخ / خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى1416هـ1996م
67. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1411، الطبعة: الأولى
68. شرح سنن ابن ماجه ، السيوطي وعبد الغني ، وفخر الحسن الدهلوي ، قديمي كتب خانة ، كراتشي .
69. شعب الإيمان ، للإمام / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، المولود 384هـ المتوفي 458هـ عدد الأجزاء (8) ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت1410هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول .
70. صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي . موسسة الرسالة ، بيروت ، 1414هـ1993م ط الثانية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .
71. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، دار بن كثير ، اليمامة بيروت 1407هـ1987م الطبعة الثالثة ، تحقيق : مصطفى ديب البغا .
72. صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
73. طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنروي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، 1997م الأولى ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي .
74. ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم . د . خليل إبراهيم أبو ذياب . دار عمار ط الأولى 1999م
75. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
76. عون المعبود شرح سنن أبي داود، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1995م، الطبعة: الثانية
77. الفائق في غريب الحديث ، محمد بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ، لبنان ، 1997م الطبعة الثانية ، تحقيق : على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم .
78. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب
79. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت
80. الفتن لنعيم بن حماد ، مكتبة التوحيد القاهرة 1412هـ الأولى ، تحقيق : سمير أمين الزهيري .
81. فهم القرأن ومعانية ، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي ، دار الكندي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية 1398هـ ، تحقيق : حسين القوتلي .
82. في ظلال القرآن . سيد قطب دار الشروق الطبعة : الثامنة1995
83. فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر - 1356هـ،

الطبعة: الأولى
84. القرآن وإعجازه العلمي موقع يعسوب
85. القواعد الفقهية ، د . عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، دار البشير ، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م .
86. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي - لبنان - 1403هـ-1983م، الطبعة: الرابعة
87. لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، المولود سنة 630هـ والمتوفي سنة 711هـ وهو مكون من 15 جزءً ، دار النشر : دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى .
88. لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، 1406هـ-1986م بيروت ، الثالثة ، تحقيق : دائرة المعرف النظامية ، الهند .
89. مباحث في علوم القرآن ، لمناع القطان ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة والعشرون .
90. المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى 1420هـ -2000م
91. مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 1415هـ-1995م ، تحقيق : محمود خاطر .
92. المسند ، للإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، المولود 164هـ ، المتوفي 241هـ ، دار النشر : مؤسسة قرطبة ، مصر ؛
93. مصباح الزجاجة ، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني . دار العربية بيروت 1403هـ الطبعة الثانية ، تحقيق : محمد المنتقي الكشناوي .
94. معالم التنزيل محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى 516 هـ] المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الرابعة ، 1417 هـ - 1997 م
95. معجزة القرآن مصدر الكتاب : موقع يعسوب
96. المعجم الأوسط ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الحرمين القاهرة ، 1415هـ ، تحقيق : طارق بن عوض الله .
97. معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، أبو عبد الله . دار الفكر ، بيروت .
98. مفردات الراغب الأصفهاني .
99. مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، دار النشر : دار الفكر ، بيروت 1996م ، الطبعة الأولى ، تحقيق : كتب البحوث والدراسات .
100. (من أسرار القرآن د/ زغلول النجار) الأهرام 2005/2/28

الهوامش:

([1]) سورة فصلت الآية (52) .
([2]) سورة الأنعام الآية (1) .
([3]) سورة الصف الآية (9) .
([4]) سورة الشورى الآية (52 ،53) .
([5]) انظر ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم (23، 234) د. خليل إبراهيم أبو ذياب، دار عمار ط1 1999.
([6]) انظر ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم (8) د. خليل إبراهيم أبو ذياب .
([7]) محمد إسماعيل إبراهيم القرآن وإعجازه العلمي- ص (44) مصدر الكتاب : موقع يعسوب .
([8]) المفردات في غريب القرآن،(343) أبو القاسم الحسين بن محمد ، دار النشر: دار المعرفة - لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
([9])إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول(5) لمحمد بن على الشوكاني، مكتبة محمد صبحي مصر.
([10]) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي (2/ 549) ، نقلاً من الإعجاز العلمي للقرآن والسنة تاريخه وضوابطه (23) ، للدكتور . عبد الله بن عبد العزيز المصلح ، من إصدارات هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، الطبعة الأولى .
([11]) ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم (19) د. خليل إبراهيم أبو ذياب.
([12]) مناهج تجديد ، أمين الخولي (287) ط/1 دار المعرفة 1961م .
([13]) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة للزنداني (25) . وأنظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي(2/564-604) .

([14]) مختار الصحاح (209/1) .
([15]) سورة البقرة الآية (236) .
([16]) أنظر النهاية في غريب الحديث (432/3) ، وانظر لسان العرب (203/7) .
([17]) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه (26) .
([18]) انظر مجلة العلوم (م27ع11، 12).
([19])عمرو بن كلثوم أنظر لسان العرب لابن منظور (215/5) .
([20]) أنظر لسان العرب لابن منظور (215/5) .
([21]) الانفجار العددي للجسيمات الدقيقة ـ بتصرف يسير ـ (30، 31) ترجمة د. صالح عبد الله جاسم، ورؤوف وصفي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الطبعة الأولى1996م .
([22]) أصول البحث العلمي ومناهجه د. أحمد بدر (74) ، نقلا من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه (26) .
([23]) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه (26) .
([24]) النهاية في غريب الحديث (415/1) ، وانظر لسان العرب (52/10) .
([25]) المصدر السابق (48/10) .
([26]) نفس المرجع (50/10) .
([27]) سورة المائدة الآية (107) .
([28]) سورة السجدة الآية (13) .
([29]) المفردات للراغب الأصفهاني (126) .
([30]) لسان العرب (417/12) .
([31]) التعريفات للجرجاني (90) .
([32])كالتجربة والكشف ونحوها من المناهج العلمية المفيدة للقطع .
([33]) مقدمات التاريخ الفكري العلمي في الإسلام (سلسلة عالم المعرفة صـ 131، ط الكويت) نقلا من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه (26) .
([34]) سورة الأنعام الآية (38) .
([35]) سورة النحل الآية (89) .
([36]) جواهر القرآن - (1 / 45–47) . لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار إحياء العلوم - بيروت ،الطبعة الأولى ، 1985، تحقيق : د.محمد رشيد رضا القباني.
([37]) البرهان في علوم القرآن لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، دار المعرفة - بيروت ، 1391 ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
([38])أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، لصديق بن حسن القنوجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1978، تحقيق : عبد الجبار زكار.

([39]) الموافقات. ط المعرفة - دراز - (2 / 82).
([40]) سورة الرعد الآية : (19)
([41]) سورة النساء الآية : (166)
([42]) سورة هود الآية : (14)
([43]) سورة الفرقان الآية : (6)
([44]) سورة يونس الآية (39) .
([45]) سورة ص الآية (88) .
([46]) لأنها نزلت من لدن حكيم خبير المحيط علماً بكل شيء، كما قال الله تعالى: (﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾).
([47]) سورة الأنعام الآية (67) ،

([48]) سورة الرعد الآية (38) .
([49]) سورة فصلت الآية (52) .
([50]) سورة النمل الآية (93) .
([51]) سورة فصلت الآية (52) .
([52]) سورة الملك الآية (14).
([53]) سورة الحج لآية (70).
([54]) سورة النساء الآية (166) .
([55]) تفسير ابن كثير (1/5 60) .
([56]) سورة هود الآية (14) .
([57]) سورة الفرقان الآية (6) .
([58]) مجموع الفتاوى كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،(196/14) لشيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
([59]) أخرجه البخاري في كتاب / فضل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي ، وأول ما نزل ، (الحديث 498) ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، الحديث (383) .
([60]) فتح الباري شرح صحيح البخاري (7/9) ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة بيروت .
([61])التحرير والتنوير - (1 / 43)
([62]) سورة القصص الآية : (50)
([63])التحرير والتنوير - (1 / 124).
([64]) سورة يونس الآية (39) .
([65]) الإعجاز العلمي للقرآن والسنة تاريخه وضوابطه (34) .
([66]) مثل كتابات فاطمة بنت الشاطئ .
([67]) أنظر تفسير ه سورة نوح في أضواء البيان - (2 /256-265).
([68]) سورة البقرة الآية (189) .
([69]) تأصيل الإعجاز العلمي (الشيخ محمد الأمين ولد الشيخ الشنقيطي (81) .
([70]) الموافقات. ط المعرفة - دراز - (2 / 82).
([71]) سورة الكهف الآية : (47)
([72]) سورة التكوير الآية : (1)
([73]) التحرير والتنوير - (1 / 41-42)
([74]) ظاهرة التفسير العلمي للقرآن د. دياب (95).
([75]) في ظلال القرآن لسيد قطب (224/7) ، ط/6.
([76]) سورة الزمر الآية: (5).
([77]) في ظلال القرآن لسيد قطب (12/24/24 – 13) ، ط/6.
([78]) سورة الذاريات الآية: (49).
([79]) في ظلال القرآن لسيد قطب (25/27) ، ط/6.
([80]) سورة فصلت الآية: (10).
([81]) في ظلال القرآن لسيد قطب (114/24-119) ، ط/6.
([82]) سورة الكهف الآية (51).
([83]) سورة القمر الآية (40,32,22,17).
([84]) سورة العنكبوت الآية: (20,19).

([85]) قضايا و اراء: موقف المفسرين من الآيات الكـــونية في القرآن الكريم 2 (41790 السنة 125-العدد 2001 مايو 7 13 صفر 1422 هـ الاثنين).
([86]) تأصيل الإعجاز العلمي (الشيخ محمد الأمين ولد الشيخ الشنقيطي (82، 83) .
([87]) سورة النساء الآية (174) .
([88]) سورة يونس الآية (39) .
([89]) سورة فصلت الآية (52) .
([90]) سورة النمل الآية (93) .
([91]) سورة ص الآية (88) .
([92]) سورة الأنعام الآية (67) ،
([93]) سورة الرعد الآية (38) .
([94]) سورة الأنعام الآية (93) .